سليم البهلول

توفيق فيـاض

(قصة)

عدة شهور مرت على مخيم جنين والحياة فيه تكاد تسير على وتيرة واحدة ، فمنـذ ان اجتاحته القوات الاسرائيلية الغازية ، والرجال القليلون الذين بقوا في المخيم بعد الاحتلال ، يرتدون المنامات المقلمة ، ويتداولون الكراسي الصغيرة المصنوعة من القش الملون في مقهى سعيد الزرعيني، الواقع على حافة الشارع المتعرج الذي يخترق وسط المخيم . بعضهم يلعب الـورق ويحتسي الشاي الدبسي ، المتواتـر على الطاولات الواطئة المشققة الجرباء ، والتي تلذوعت حوافها باعقاب السجائر المنطفئـة عليها . وبعضهم يعانق خراطيم النراجيل المهدبة ، منحنيا عليها بألفة ورقة عجيبتين ، واحجار النرد تتراكض بين الصدور غارة ككائنات صغيرة محاصرة ، لا تيأس من البحث عن مخرج لها من بين اسوار « الطاولات » البنية الباهته ، وانامل اللاعبين المشعوذة ، تطاردها . تمسكها تحكم الحصار حولها ، تخضها . تصطك . تفركها ، تلوحها ، فتفر من بينها ثانية لتصطدم بالاسوار من حولها ، والانامل تعاود الكر خلفها .

وبين العشرة الطيبة والشيش بيش تشتبك القوات المصرية على قناة السويس . تتراشق بالمدفعية الثقيلة والرشاشات . والفدائيـون الفلسطينيون ينصبون كمينـا لدورية معادية في الاغوار ، يعطبون آلياتها ويشتبكون معها بالرشاشات الخفيفـة والقنابل اليدوية ، فتغير طائرات الميراج والسكاي هوك الاسرائيلية على منطقة اربد تقصف مخيمات اللاجئين بالصواريخ . تحرقها بالنابالم ، تطـارد الفارين من الموت بالرشاشات . تحصدهم ، ثم تعود الى قواعدها سالمة .

يحتد النقاش ، تنفصل الخراطيم عن الشفاه المقبلة ، والعشرة الطيبة تطوى ، فلا يجدي هذه المرة « الدبش » ولا « الدام » تنفع ، لاختلاط عدد القتلى والجرحى بارقام العشرة الطيبة والاحجار المدورة . فتتوقف الحيوانات الصغيرة عن تراكضها ، والانامل الملاحقة ترتد . تطوى الطاولات ، تفرقع . تقتتل حجارتها . تهدأ . تفح التنهـدات اليائسة من ياقات المنامات المخططة . تشتعل السجائر ، واكواب الشاي الدبسي تتقافز نحو الشفاه المزمومة ، ثم تعود الى الطاولات الجرباء ، فتفرد فلسطين بينها . تشرح . تحل قضيتها عسكريا . تحل سلميا . تعود الضفة الغربية الى الملك حسين . تعود الى منظمة التحرير الفلسطينية . لا تعود البتة . يحتدون . يقتتلون ، فيحـل الحل سيارة عسكرية تتوقف امام المقهى .

تتعلق العيون بالقبعات الخضر . تتراكض بين نجوم داود اللامعة علـى الجباه .